

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ^ط وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ^ج وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة هاهنا ; قاله ابن عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها . قال مجاهد : يعني التجارة بتيسيره إياها لهم . وقال علي والسدي : (من طيبات ما كسبتم) يعني : الذهب والفضة ، ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض . قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولهذا قال : (ولا تيمموا) أي : تقصدوا (الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيهِ) أي : لو أعطيتموه ما أخذتموه ، إلا أن تتغاضوا فيه ، فالله أغنى عنه منكم ، فلا تجعلوا الله ما تكرهون . وقيل : معناه : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) أي : لا تعدلوا عن المال الحلال ، وتقصدوا إلى الحرام ، فتجعلوا نفقتكم منه . ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه

الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا أبان بن إسحاق ، عن الصباح بن محمد ،
عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب
ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي
نفسه بيده ، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه " .
قالوا : وما بوائقه يا نبي الله ؟ . قال : " غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا من حرام
فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده
إلى النار ، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا
يمحو الخبيث " . والصحيح القول الأول ؛ قال ابن جرير : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي
، حدثني أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب في
قول الله : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) الآية . قال : نزلت في الأنصار ، كانت الأنصار إذا كان
أيام جذاذ النخل ، أخرجت من حيطانها أقناء البسر ، فعلقوه على جبل بين الأسطوانتين

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل فقراء المهاجرين منه ، فيعمد الرجل منهم إلى الحشف ، فيدخله مع أقناء البسر ، يظن أن ذلك جائز ، فأنزل الله فيمن فعل ذلك : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) ثم رواه ابن جرير ، وابن ماجه ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه ، من طريق السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء ، بنحوه .

وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن البراء : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذه إلا أن تغمضوا فيه) قال : نزلت فينا ، كنا أصحاب نخل ، وكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته ، فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه ، فيسقط منه البسر والتمر ، فيأكل ، وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو فيه الحشف والشيص ، ويأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه ، فنزلت : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذه إلا أن تغمضوا فيه) قال : لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وحياء ، فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده . وكذا

رواه الترمذي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن عبيد الله هو ابن موسى
العبسي عن إسرائيل ، عن السدي وهو إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفاري
واسمه غزوان عن البراء ، فذكر نحوه . ثم قال : وهذا حديث حسن غريب . وقال ابن أبي
حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن الزهري ، عن أبي
أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لونين
من التمر : الجعرور ولون الحبيق . وكان الناس يتيمون شرار ثمارهم ثم يخرجونها في
الصدقة ، فنزلت : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) . ورواه أبو داود من حديث سفيان
بن حسين ، عن الزهري [به] . ثم قال : أسنده أبو الوليد ، عن سليمان بن كثير ، عن
الزهري ، ولفظه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجعرور ولون الحبيق أن
يؤخذ في الصدقة . وقد روى النسائي هذا الحديث من طريق عبد الجليل بن حميد
اليحصي ، عن الزهري ، عن أبي أمامة . ولم يقل : عن أبيه ، فذكر نحوه . وكذا رواه
ابن وهب ، عن عبد الجليل . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ،
حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن معقل في هذه الآية : (ولا تيمموا

الخبث منه تنفقون) قال : كسب المسلم لا يكون خبيثا ، ولكن لا يصدق بالحشف ،
والدرهم الزيف ، وما لا خير فيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا حماد بن
سلمة ، عن حماد هو ابن أبي سليمان عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : أتني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب فلم يأكله ولم ينه عنه . قلت : يا رسول الله ،
نطعمه المساكين ؟ قال : " لا تطعموهم مما لا تأكلون " . ثم رواه عن عفان عن حماد
بن سلمة ، به . فقلت : يا رسول الله ، ألا أطعمه المساكين ؟ قال : " لا تطعموهم ما لا
تأكلون " . وقال الثوري : عن السدي ، عن أبي مالك ، عن البراء (ولستم بآخذه إلا أن
تغمضوا فيه) يقول : لو كان لرجل على رجل ، فأعطاه ذلك لم يأخذه ؛ إلا أن يرى أنه
قد نقصه من حقه رواه ابن جرير . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ولستم
بآخذه إلا أن تغمضوا فيه) يقول : لو كان لكم على أحد حق ، فجاءكم بحق دون
حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه . قال : فذلك قوله : (إلا أن تغمضوا فيه)
فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم ، وحقى عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه !
!رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وزاد : وهو قوله : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

([آل عمران : 92] . ثم روى من طريق العوفي وغيره ، عن ابن عباس نحو ذلك ، وكذا ذكر غير واحد . قوله : (واعلموا أن الله غني حميد) أي : وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها ، وما ذاك إلا ليساوي الغني الفقير ، كقوله : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) [الحج : 37] وهو غني عن جميع خلقه ، وجميع خلقه فقراء إليه ، وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه ، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب ، فليعلم أن الله غني واسع العطاء ، كريم جواد ، سيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم ، وهو الحميد ، أي : المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .